غبطت أعظمه الرميم

فزع الناس لخيل لقيت سرية سيف الدولة ببلد الروم فركب وركب معه أبو الطيب فوجد السرية قد ظفرت. وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته في ذلك اليوم فأنشد سيف الدولة متمثلاً بقول النابغة الذبياني:

[الطويل]

وَلا عَيبَ فيهم غيرَ أنّ سيُوفَهمْ
بِهِنّ فُلُولٌ مِن قِرَاعِ الكَتَائِبِ
تُخُيّرْنَ من أزمانِ يوْمِ حَلِيمَةٍ
إلى اليوْمِ قد جُرّبنَ كلّ التَّجارِبِ(١)

غير أنثى العقل والحسب

توفيت أخت سيف الدولة بميّافارقين وورد خبرها إلى الكوفة فقال أبو الطيب يرثيها ويعزيه بها وكتب إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة (٩٦٣ م):

[البسيط]

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبِ
كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ(٢)
أُجِلُّ قَدْرَكِ أَنْ تُسْمَيْ مُؤَبَّنَةً
وَمَنْ يَصِفْكِ فَقَدْ سَمَّاكِ لِلْعَرَبِ(٣)

= والتزام الحذر يكون طلب العدو وتكون الانتصارات.

(١) استشهد المتنبي ببيتين من شعر النابغة الذبياني، ورد البيت الثاني في لسان العرب ١٢: ١٤٩، مادة «حلم». «ويوم حليمة: يوم معروف أحد أيام العرب المشهورة، وهو يوم التقى المنذر الأكبر والحارث الأكبر الغساني. . وقال النابغة يصف السيوف:

تُوُرِّثْن من أزمان يوم حليمةٍ إلى اليوم، قد جُرّبْن كلّ التجارِبِ»

(٢) بدأ المتنبي مرثيته مخاطباً المتوفاة، منوّهاً بعلو نسبها؛ إنها أخت خير الناس سيف الدولة، وابنة خير أب أبي الهيجاء، وكلا سيف الدولة وأبي الهيجاء أشرف أبناء زمانهما، وانتسابها إليهما يرفعها إلى أعلى الأنساب آنذاك.

(٣) ورد البيت في: الخصائص، لابن جني ٣: ٣٣٨. التأبين: الرثاء. إن الشاعر يرفع قدر المتوفاة فلا يسميها باسمها، ويكفيه أن يذكر محاسنها وينوّه بصفاتها لتعرف، فصيتها انتشر عبيره بين سائر العرب.

لَا يَـمْـلِـكُ الـطَّـرِبُ الـمَـحْـزُونُ مَـنْـطِـقَـهُ
وَدَمْـعَـهُ وَهُـمَـا فِـي قَـبْـضَـةِ الـطَّـرَبِ[١]

غَـدَرْتَ يَـا مَـوْتُ كَـمْ أَفْـنَـيْـتَ مِـنْ عَـدَدٍ
بِـمَـنْ أَصَـبْـتَ وَكَـمْ أَسْـكَـتَّ مِـنْ لَـجَـبِ[٢]

وَكَـمْ صَـحِـبْـتَ أَخَـاهَـا فِـي مُـنَـازَلَـةٍ
وَكَـمْ سَـأَلْـتَ فَـلَـمْ يَـبْـخَـلْ وَلَـمْ تَـخِـبِ[٣]

طَـوَى الْـجَـزِيـرَةَ حَـتَّـى جَـاءَنِـي خَـبَـرٌ
فَـزِعْـتُ فِـيـهِ بِـآمَـالِـي إِلَـى الْـكَـذِبِ[٤]

حَـتَّـى إِذَا لَـمْ يَـدَعْ لِـي صِـدْقُـهُ أَمَـلاً
شَـرِقْـتُ بِـالـدَّمْـعِ حَـتَّـى كَـادَ يَـشْـرَقُ بِـي[٥]

تَـعَـثَّـرَتْ بِـهِ فِـي الْأَفْـوَاهِ أَلْـسُـنُـهَـا
وَالْـبُـرْدُ فِي الطُّرْقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ[٦]

---

(١) الطرب: حالة تعتري المرء عند اشتداد الفرح أو الحزن. يعتذر الشاعر عن تقصير يلحقه في حق المتوفاة ذلك أن شدّة الحزن تلجم المرء عن التعبير عمّا يعانيه من حزن وألم يعصر قلبه ويلجم لسانه، ويترجم الدمع ما لديه من لوعة وحسرة.

(٢) اللجب: الصياح والضجيج. يخاطب الشاعر الموت المفاجئ، فلم يمهّد لوفاة أخت سيف الدولة، فبموتها أصاب الموت أناساً كثيرين، فقد كانت مؤْئل المحتاجين والفقراء ينعمون ببرها وكرمها، فافتقد هؤلاء معيناً على النوائب في ظلمة الحياة هذه.

(٣) يعاتب الشاعر الموت بأنه لم يرع صحبة أخيها، فقد كان رفيق الموت يصحبه معه في جيشه يقبض أرواح قتلاه، ولم يبخل يوماً، بل إنه كان يستجيب لنداء الموت ويُشبع نهمه بجثث أقوى الأبطال. فأين حسنات ذلك البطل؟

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٧. أخبار الأحزان لا تخفى، بل إنها تطير مع الرياح، وسرعان ما تنامى الخبر إلى مسامع الشاعر فأذناه لم تصدق ما تسمع، والرياح تدوّي بالخبر متخطية الجزيرة ما بين بلاد الشام والكوفة في العراق. فهل يكون الأمر مجرّد دُعابة أم أنها الفاجعة؟ والدعابة تكون في كلّ شيء إلّا في حقل الموت.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٧. إنها الحقيقة المرّة، فإذا بالدموع التي تكاد تخنق لكثرتها وتقطع الأنفاس.

(٦) ورد البيت في: شرح شواهد الشافية، للبغدادي: ٢٤٠، الوساطة بين المتنبي =

كَـأَنَّ فَـعْـلَـةَ لَـمْ تَـمْـلأْ مَـوَاكِـبُـهَـا
دِيَـارَ بَـكْـرٍ وَلَـمْ تَـخْـلَـعْ وَلَـمْ تَـهَـبِ (١)
وَلَـمْ تَـرُدَّ حَـيَـاةً بَـعْـدَ تَـوْلِـيَـةٍ
وَلَـمْ تُـغِـثْ دَاعِـيـاً بِـالْـوَيْـلِ وَالْـحَـرَبِ (٢)
أَرَى الْـعِـرَاقَ طَـوِيـلَ الـلَّـيْـلِ مُـذْ نُـعِـيَـتْ
فَـكَـيْـفَ لَـيْـلُ فَـتَـى الْـفِـتْـيَـانِ فِـي حَـلَـبِ (٣)
يَـظُـنُّ أَنَّ فُـؤَادِي غَـيْـرُ مُـلْـتَـهِـبٍ
وَأَنَّ دَمْـعَ جُـفُـونِـي غَـيْـرُ مُـنْـسَـكِـبِ (٤)
بَـلَـى وَحُـرْمَـةِ مَـنْ كَـانَـتْ مُـرَاعِـيَـةً
لِـحُـرْمَـةِ الـمَـجْـدِ وَالْـقُـصَّـادِ وَالْأَدَبِ (٥)

= وخصومه: ١٤٧. يصف الشاعر أحوال وسائل الاتصال ونقل الأخبار بسرعة، فإذا بها مشلولة شُلّت حركتها، فالأفواه تلجلجت وتلعثمت فغارت فيها الكلمات وأخرست، حتى طرق البريد وناقلوه تلجلجت وتعثّرت لغتها، وطرقها تمادت وبعُدت، والأقلام جفّت مدامعها فامتنعت عن ترجمة الحدث الجلل الأليم.

(١) ورد البيت في خزانة الأدب، للبغدادي ٣: ٢٥٢. يجعل الموت كلّ شيء سريعاً، فكأن فَعْلة، كناية عن خَوْلة، فالشاعر لم يذكر اسم المتوفاة صراحة كأنه يرفض الإقرار بالأمر الواقع، لقد كانت توجّه الجيوش لتغزو بإرادتها في ديار بكر، كما كانت موئل الكرم؛ فهي تهب الأثواب وتخلعها على المحتاجين وتوزع هباتها كيفما اتّفق.

(٢) التولية: الذهاب والرجوع. الويل: الحرب، الدمار، الموت. يصف السلوك مسلك المتوفاة؛ فقد كانت تحمل الكَلّ وتُغيث الملهوف وتمدّ يد المساعدة لكلّ محتاج في وقت الشدّة والحروب التي تقضي على كلّ شيء.

(٣) و (٤) لقد كان لنعي أخت سيف الدولة أثره الأليم في بلاد العراق، ولا شكّ أن هذا المصاب الأليم سيؤلم سيف الدولة في حلب إنه يعتقد أن قلب الشاعر لم يتفتّت حزناً، ففيه نار لاعجة حارقة تترجمها دموع علّها تُطفئ هذا اللهب.

(٥) يُقسم الشاعر أنه يتألّم لهذا المصاب بمن كانت تراعي الودّ وتحفظ العهد وتقدر العلماء والشعراء والأدباء لمعرفتها واطّلاعها، ولهذا فلها حرمة خاصّة بين النساء.

وَمَـنْ مَـضَـتْ غَـيْـرَ مَـوْرُوثٍ خَـلَائِـقُـهَـا
وَإِنْ مَـضَـتْ يَـدُهَـا مَـوْرُوثَـةَ الـنَّـشَـبِ[١]

وَهَـمُّـهَـا فِـي الْـعُـلَـى وَالـمَـجْـدِ نَـاشِـئَـةً
وَهَـمُّ أَتْـرَابِـهَـا فِـي الـلَّـهْـوِ وَالـلَّـعِـبِ[٢]

يَـعْـلَـمْـنَ حِـيـنَ تُـحَـيَّـا حُـسْـنَ مَـبْـسِـمِـهَـا
وَلَـيْـسَ يَـعْـلَـمُ إِلَّا الـلَّـهُ بـالـشَّـنَـبِ[٣]

مَـسَـرَّةٌ فِـي قُـلُـوبِ الـطِّـيـبِ مَـفْـرِقُـهَـا
وَحَـسْـرَةٌ فِـي قُـلـوبِ الْـبَـيْـضِ وَالْـيـلَـبِ[٤]

إِذَا رَأَى وَرَآهَـــــا رَأْسَ لَابِـــــسِـــــهِ
رَأَى الـمَـقَـانِـعَ أَعْـلَـى مِـنْـهُ فِـي الـرُّتَـبِ[٥]

وَإِنْ تَـكُـنْ خُـلِـقَـتْ أُنْـثَـى لَـقَـدْ خُـلِـقَـتْ
كَـرِيـمَـةً غَـيْـرَ أُنْـثَـى الْـعَـقْـلِ وَالْـحَـسَـبِ[٦]

---

(١) خلائقها: أخلاقها وصفاتها. النشب: المال. يقرّ الشاعر بموت أخت سيف الدولة التي تمتاز بسمو خلقها، فلا شبيه لها في هذا المجال، ولقد تركت مالاً تُذكر به لمن يستحقّه من المعوزين والفقراء.

(٢) الأتراب: الأصحاب، الواحد ترب: في مثل العمر. لقد نهضت إلى نشدان المعالي منذ حداثتها، بينما مثيلاتها كان لا يشغلهن سوى اللعب واللهو خاليات البال من كل ما هو جليل عظيم.

(٣) الشنب: بريق الأسنان وجمال مبسمها. لقد كانت تتلقى صويحباتها مبتسمة، وقد كانت طاهرة الذيل فلم يُقبّلها مخلوق دلالة طهرها ونقائها.

(٤) المفرق: حيث يفترق الشعر من الرأس. اليلب: ضرب من الدروع اليمانية تتخذ من الجلود. البيض، الواحدة بيضة: الخوذة لباس الرأس. يصف الشاعر حال المتوفاة، فقد كانت تستعمل الطيب الذي يسرّ ويفخر أنه لامس رأسها، بينما تتحسّر وتتألم أدوات الحرب لعدم اهتمامها بها، فهي لم تتزيّا بزيّ الرجال، بل إنها تعتز بأنوثتها.

(٥) المقانع، الواحد مقنع: ضرب من الأقنعة تحتجب به المرأة. جعل الشاعر الخوذ والدروع تتألم وتَدِبّ الغيرة في البيض لأنها تحسّ بأن تلك المرأة تفضّل الأقنعة عليها، وبذلك تكون مفضّلة عندها؛ وهذا ما يزعج الخوذ.

(٦) لقد حباها اللّه تعالى أنوثة المرأة، ولقد ورثت آباءً كراماً فضلاً عن عقل تفوق به كثيراً من الرجال وسائر أخواتها من النساء.

وإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءُ عُنْصُرَهَا
فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنًى لَيْسَ فِي الْعِنَبِ[١]
فَلَيْتَ طَالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَةٌ
وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسَيْنِ لَمْ تَغِبِ[٢]
وَلَيْتَ عَيْنَ الَّتِي آبَ النَّهَارُ بِهَا
فِدَاءُ عَيْنِ الَّتِي زَالَتْ وَلَمْ تَؤُبِ[٣]
فَمَا تَقَلَّدَ بِالْيَاقُوتِ مُشْبِهُهَا
وَلَا تَقَلَّدَ بِالْهِنْدِيَّةِ الْقُضُبِ[٤]
وَلَا ذَكَرْتُ جَمِيلاً مِنْ صَنَائِعِهَا
إِلَّا بَكَيْتُ وَلَا وُدٌّ بِلَا سَبَبِ[٥]
قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤْيَتِهَا
فَمَا قَنِعْتِ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ[٦]

---

(١) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ١: ٢٣٥. الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٧. تغلب: قبيلة سيف الدولة. الغلباء: الممتنعة برجالها وفرسانها. الأصل: المحتد. إن المتوفاة تنتمي إلى قبيلة تغلب ذات التاريخ الطويل والأمجاد العريقة في التاريخ في الجاهلية والإسلام، وفضلاً عن ذلك فإنها أي خولة تمتاز عنهم جميعاً كالخمرة؛ فمزاياها خلاف أصلها من العنب بما تتركه في النفوس من أثر.

(٢) ورد البيت في: أسرار البلاغة، للجرجاني: ٣٦٥. يتمنّى الشاعر لو أن المتوفاة، وهي شمس يعمّ خيرها الناس، بقيت على قيد الحياة، ويتمنّى لو أن الشمس العادية قد غابت لعدم نفعها الأنام؛ وفي ذلك مناقضة لطبيعة دور الشمس العظيم في حياة الكرة الأرضية.

(٣) ويردف الشاعر تمنيه أن تكون الشمس التي حملت للكون يوماً جديداً فداء للتي طواها الموت بين جناحيه، وأن تبقى على قيد الحياة.

(٤) الهندية: السيوف المصنوعة في الهند. القضب، الواحد قضيب: الرقيق من السيوف. يرى الشاعر أن المتوفاة قد فاقت بنات جنسها نبلاً وحسناً وخلقاً، ولم يوجد مثيل لها في عالم الرجال.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٨. الصنائع، الواحدة صنيعة: جميل الأفعال. ومما يزيد حزن الشاعر أن المتوفاة كانت ذات يد محسنة، فضلاً عن صدق ودادها للشاعر؛ فإذا بدموعه تُغطّي وجنتيه.

(٦) حجب: ستر. من طبع ربّات الحجال من النبلاء الاحتجاب وندرة الاختلاط بالعامة، =

وَلَا رأَيْــتِ عُــيُــونَ الإِنْــسِ تُــدْرِكُــهَــا
فَـهَـلْ حَـسَـدْتِ عَـلَـيْـهَـا أَعْـيُـنَ الـشُّـهُـبِ[١]
وَهَــلْ سَــمِــعْــتِ سَــلَامــاً لِــي أَلَــمَّ بِــهَــا
فَـقَـدْ أَطَـلْـتُ وَمَـا سَـلَّـمْـتُ مِـنْ كَـثَـبِ[٢]
وَكَـيْـفَ يَـبْـلُـغُ مَـوْتَـانَـا الَّـتِـي دُفِـنَـتْ
وَقَـدْ يُـقَـصِّـرُ عَـنْ أَحْـيَـائِـنَـا الْـغَـيَـبِ[٣]
يَـا أَحْـسَـنَ الـصَّـبْـرِ زُرْ أَوْلَـى الْـقُـلُـوبِ بِـهَـا
وَقُـلْ لِـصَـاحِـبِـهِ يَـا أَنْـفَـعَ الـسُّـحُـبِ[٤]
وَأَكْـرَمَ الـنَّـاسِ لَا مُـسْـتَـثْـنِـيـاً أَحَـداً
مِـنَ الْـكِـرَامِ سِـوَى آبَـائِـكَ الـنُّـجُـبِ[٥]

= فكان من الطبيعي أن تسير سيرة هؤلاء النسوة فتحتجب، ولكن الأرض بدافع الطمع حجبتها لنفسها، فابتلعتها لتحتفظ بها إلى الأبد.

(١) الشهب، الواحد شهاب: شعلة نار ساطعة، الدراري، ومن علوّ شأنها عَسُر على البشر النظر إليها ورؤيتها، فقد كانت دراري السماء تعايشها وترافقها ولقد حسدت الأرض صويحباتها فاحتضنتها في قلبها.

(٢) يخاطب الشاعر الأرض لائماً ومعاتباً، فقد سمعت سلامه للمتوفاة، وهو بعيد عنها، يودّ لو يصل إلى مسامعها، وقد تعطلت وسائل الاتصال بين الشاعر والمتوفاة، وقد أطال المناجاة عن بعد، وما استطاع المصافحة. ولم ينعم بجواب شافٍ.

(٣) الغيب، الواحد غائب. وما يعبّر عن حيرة الشاعر أن السلام لا يمكن أن يصل إلى الموتى للفاصل الزماني والمكان بين عالم الأحياء وعالم الأموات، والحقيقة أن الشاعر يقرّ أنه لم يكن باستطاعته إرسال السلام والمتوفاة على قيد الحياة، وهو قريب منها، فكيف بذلك، وهما في عالمين مختلفين ومكانين متباعدين؟

(٤) يخاطب الشاعر الصبر متمنياً عليه أن يزور أولى القلوب بالحزن، وهو سيف الدولة علّه يُخفف من شدّة وطأة الألم والحزن، ومستثيراً فيه ملكة الكرم فعطاؤه أنفع السحب لسهولته وعدم إيذائه؛ فمن طبع السحب صَواعق ورعود وبرق ودمار في بعض الأحيان، والشاعر تكسبيّ حتى في هذا الموضع، موضع العواطف الرقيقة الصادقة.

(٥) النجب، الواحد نجيب: النبلاء. يخاطب الشاعر سيف الدولة؛ إنه أكرم الناس طرًّا =

قَدْ كَانَ قاسَمَكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا
وَعَاشَ دُرُّهُمَا المَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ (١)
وَعَادَ فِي طَلَبِ المَتْرُوكِ تَارِكُهُ
إِنَّا لَنَغْفُلُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ (٢)
مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتاً كَانَ بَيْنَهُمَا
كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوِرْدِ وَالْقَرَبِ (٣)
جَزَاكَ رَبُّكَ بِالأَحْزَانِ مَغْفِرَةً
فَحُزْنُ كُلِّ أَخِي حُزْنٍ أَخُو الْغَضَبِ (٤)
وَأَنْتُمُ نَفَرٌ تَسْخُو نُفُوسُكُمُ
بِمَا يَهَبْنَ وَلَا يَسْخُونَ بِالسَّلَبِ (٥)
حَلَلْتُمُ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمِ
مَحَلَّ سُمْرِ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ (٦)

= سوى أجداده النجباء، فهم كرماء في أصولهم وأخلاقهم. وذلك من المغالاة عند المتنبي، فقد اختصر تاريخ البشرية بسيف الدولة وآله.

(١) و (٢) يقصد الشاعر بالشخصين أختي سيف الدولة، فقد توفيت الصغرى منهما، فكأنها فدت أختها الكبرى، إذ بها كدرّ فدي بذهب، فكانت الكبرى درّاً والصغرى ذهباً. ولكن الدهر القاهر ينزَع الباقية منهما، فالأيام من طبعها أنها لا تغفل من أهملته وإن طال بها الزمن.

(٣) الورد: إتيان الإبل الماء. القرب: السير ليلاً لورد الماء. لقد كانت وفاة كلّ منهما سريعة ومتقاربة كأن ما بينهما يوم وليلة، كمن ذهب ليرد الماء ويأخذ حاجته، ثم ليعود أدراجه إلى حيث انطلق.

(٤) يخاطب الشاعر سيف الدولة متمنياً له غفران أحزانه، فالمصائب إخوة الغضب، والغضب يُمكن غسله بتفجيره ضد مسببه، ولكن الأمر مختلف فالغضب من أمر غيبي، وفي هذه الحالة فلا بدّ من الاستسلام والتأسي بمن غبر.

(٥) تسخو: تتكرّم. السلب: ما يأخذه المحارب من سلب ضحيته. يخاطب الشاعر سيف الدولة؛ إنه من قوم كرماء يُعطون عن طيب نفس ما يجودون به، ولكنهم لا يتنازلون عن سلب موتاهم؛ ذلك أنهم قوم ذوو منعة وعزّة وأنفة، لذا فهم لا يجودون بما يؤخذ منهم غصباً وقهراً.

(٦) يمدح الشاعر سيف الدولة وآله بأنهم ملوك سائر الناس، وأنهم بمثابة القنا القوية =

فَـلَا تَـنَـلْـكَ الـلَّـيَـالِـي إِنَّ أَيْـدِيَـهَـا
إِذَا ضَـرَبْـنَ كَـسَـرْنَ الـنَّـبْـعَ بـالْـغَـرَبِ (١)
وَلَا يُـعِـنَّ عَـدُوًّا أَنْـتَ قَـاهِـرُهُ
فَـإِنَّـهُـنَّ يَـصِـدْنَ الـصَّـقْـرَ بـالْـخَـرَبِ (٢)
وَإِنْ سَـرَرنَ بِـمَـحْـبُـوبٍ فَـجَـعْـنَ بِـهِ
وَقَـدْ أَتَـيْـنَـكَ فِـي الْـحَـالَـيْـنِ بـالْـعَـجَـبِ (٣)
وَرُبَّـمَـا ٱحْـتَـسَـبَ الإِنْـسَـانُ غَـايَـتَـهَـا
وَفَـاجَـأَتْـهُ بِـأَمْـرٍ غَـيْـرِ مُـحْـتَـسَـبِ (٤)
وَمَـا قَـضَـى أَحَـدٌ مِـنْـهَـا لُـبَـانَـتَـهُ
وَلَا ٱنْـتَـهَـى أَرَبٌ إِلَّا إِلَـى أَرَبِ (٥)

= الصلبة مقابل القصب الفارغ القلوب ممّا يسهّل كسره؛ وعليه فإنهم أفضل ملوك الأرض.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٨. النبع: ضرب من الشجر الصلب ينبت في رؤوس الجبال تتّخذ منه القِسيّ. الغرب: ضرب من النباتات ينبت على ضفاف الأنهار ضعيف. يدعو الشاعر لسيف الدولة بألّا يُضام، فالليالي من طبعها أنها تؤلم المرء بمقاييس لا تخضع للمنطق، فإذا بالضعيف من الأمور يُهلك الأقوياء لمفاجاءاته التي لم يُحسب لها حساب.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٨. الخرب: ذكر الحُبارى. من الطيور يضرب به المثل في البلاهة. ويردف الشاعر مؤيداً المعنى الذي ذكره في البيت السابق أن الليالي تُعين الضعفاء للإيقاع بالأقوياء، داعياً له بالبقاء والمنعة؛ إنه صقر من طبيعته الصيد والسموّ، يتمنّى له ألّا يقع فريسة ضيف غبيّ.

(٣) تقسو الحياة، فتُفقد البشر كلّ شيء يحبّونه بسرعة عجيبة، وهنا سرّ تعلّق بني آدم في ما يُحبونه، فيُفجعون بما يُحبون فتبقى ذكراه أليمة في النفوس. ومن حسن حظّ سيف الدولة أن الليالي لا تُعين من يبطش به الممدوح، وقد سرّته الليالي بأخته ثم فجعته فاستردّتها منه.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٨. قد يكون الحرص مضيعة للوقت، في بعض الأحيان، فتأتي منغّصات بغتة لم يكن المرء يتوقّع حدوثها.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٨. اللبانة: الحاجة. الأرب: الغرض. يُحسّ المرء أن الشاعر متشائم وإن لمّح إلى حقيقة أن طموح البشر لا يُحدّ، =

تَـخَـالَـفَ الـنَّـاسُ حَـتَّـى لَا ٱتِّـفَـاقَ لَـهُـمْ
إِلَّا عَـلَـى شَـجَـبٍ وَٱلْـخُـلْـفُ فِي الـشَّـجَـبِ(١)
فَـقِـيـلَ تَـخْـلُـصُ نَـفْـسُ الـمَـرْءِ سَـالِـمَـةً
وَقِـيـلَ تَـشْـرَكُ جِـسْـمَ الـمَـرْءِ فِي الْـعَـطَـبِ(٢)
وَمَـنْ تَـفَـكَّـرَ فِـي الـدُّنْـيَـا وَمُـهْـجَـتِـهِ
أَقَـامَـهُ الْـفِـكْـرُ بَـيْـنَ الْـعَـجْـزِ وَالـتَّـعَـبِ(٣)

سمعاً لأمر أمير العرب

أنفذ إليه سيف الدولة كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله المسير إليه فأجابه بهذه القصيدة وأنفذها إليه في ميّافارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة (٩٦٤ م):

[المتقارب]

فَـهِـمْـتُ الْـكِـتَـابَ أَبَـرَّ الْـكُـتُـبْ
فَـسَـمْـعـاً لِأَمْـرِ أَمِـيـرِ الْـعَـرَبْ(٤)
وَطَـوْعـاً لَـهُ وَٱبْـتِـهَـاجـاً بِـهِ
وَإِنْ قَـصَّـرَ الْـفِـعْـلُ عَـمَّـا وَجَـبْ(٥)

= فإن حقّق أحد نجاحاً عمل على تحقيق نجاح آخر وهكذا دواليك، فتنتهي الحياة ولا تنتهي حاجات بني البشر، وهذا هو سرّ بقاء الحياة وحيويتها.

(١) و (٢) الشجب: الهلاك. الخلف: الاختلاف. آمن الناس بأن الموت حقّ محتّم على كلّ مخلوق، واختلفوا بكيفيّته وطرقه وأوقاته في ما بينهم على رأيين، فالمؤمنون بالبعث يؤمنون بخلود الروح في عالم البرزخ حتى قيام الساعة يوم الحشر؛ فيكون الجزاء، والرأي الآخر يؤمن به الملاحدة والدهريّون الذين يؤمنون بفناء الروح النفس بفناء الجسد.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٨. المهجة: الروح. يرى الشاعر أن التفكير في حال الدنيا متعب، حيث لا خلود، ولا دوام على حال، وما يريح المرء الاستسلام لمصيره وعدم التفكير في الأمر.

(٤) و (٥) الابتهاج: الفرح. يبدي الشاعر استعداده لموافاة سيف الدولة الذي طلب منه الإسراع بالمجيء إليه؛ ولقد فهم المقصود من رسالة فتحت في نفسه أملاً جديداً وفرحة لا تُساويها فرحة، ومع ذلك فالشاعر يقدّم اعتذاره عن تخلّفه والمسارعة =